المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم القرآن الكريم وعلومه

أهمية اللغة العربية في فهم القرآن وتفسيره

بحث مقدم للمؤتمر المقام في البرازيل 23-نوفبر-2018

إعداد الدكتور

عاصم بن عبد الله بن محمد آل حمد

العام الجامعي

1439 / 1440 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله أنزل القرآن بالفصاحة، علم الإنسان البيان والبلاغة، ضرب لنوره مثال المشكاة والقنديل والزجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يدفع الظلام بضوئه، ويغلب الأفلاك بنوئه، في مَثَل عَجَزت عن مثله ألسن أهل المعلقات، وعقول القصص والأساطير والحكايات، فتبارك من أزال عن اللسان العربي اللحنَ وأزاحه، وجعل اللغة العربية متربعة فوق كل دوحة غالبة في كل ساحة وباحة، أنزل القرآن عربيًا، وأرسل رسولاً عربيًا، وجعل لسان أهل الجنة عربيًا، فطوبى لمن أكرم لسانه بالعربية وأراحه، أشهد أن لا إله إلا الله، رب العالمين: الإنس والجن والأفلاك السباحة، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إمامُ المتقين، وقائدُ الغُر المحجلين، سيدُ ولد آدم، جاء بالأمر والإباحة، وأمر بالمكارم ونهى عن القباحة والشقاحة، أعرب القرآن، وأزال عن الألسن العجمة بالبيان، وكان له من جوامع الكلم والطلاقة، ما جَمُلت به اللغة، وحارت معه الحروف، بالمنطق السهل، ورائقة السماحة، بعد أن تكاملت له ذائقة البديع والفصاحة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن مما يميز اللغة العربية أنها تكونت على جناح من النطق أصيل، وفيها من روعة التراكيب وجمال التعبير مع عظيم المعاني السامية ما بزّت به جميع الألسن واللكنات، فلا يدانيها فقر اللغات، ولا يجاريها تشتت اللهجات.

إن لغتنا العربية تأخذ بالقلوب، وتأسر الفكر، وتسبي الأرواح، أما أعداؤها وخصومها فابتعدوا عنها لما كانوا سطحيين في معرفة اللغة، لم يضعوا أياديهم على الأصداف

فلغتنا العظيمة كانت من القرآن حروفها، ومن أعذب الأنهار تراكيبها، وهي التي قالت عن نفسها:

وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
فَكَيْفَ أَضِيقُ اليَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ؟

أَنَا البَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ فَهَلْ سَاءَلُوا الغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِي[1]

وتصديق الدعوات التي أطلقت من هاهنا وهناك لترك اللغة العربية: حرفًا، أو معنى، نذير شؤم، ومصير بؤس، يجعل الأمة عقيرة الفهم لكلام ربها، عقيمة التصور لمحاسن دينها، ذلكم أن المدخل الأم لفهم حكمة الخلق، وغاية الإيجاد هو باب اللغة العربية، فلا شك أن من خناجر أعداء الدين طعنهم في اللسان العربي الأصيل؛ ليصلوا من خلال ذلك إلى أعجمية الأمة في فهم أعظم دستور لها، من هنا أحببت أن يكون دلائي الذي ألقيه في محيط اللغة الهادر جانبا من جوانب الحفاظ على أعظم مكون للمسلم، فاخترت:

أهمية اللغة العربية في فهم القرآن وتفسيره

(1) ديوان حافظ إبراهيم (ص:253)

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

١- كون الموضوع مرتبطًا بأهم كتاب لدى المسلمين، ألا وهو القرآن، والذي هو نجاتهم وسبيل عزهم، ولأنه الموروث الخالد الذي يجب أن يحفظ ويصان.

٢- أهمية اللغة العربية في فهم القرآن، كونها الباب الأول لمعرفة المعاني والنظم.

٣- الضعف اللغوي الذي دب بين أرجاء المتعلمين فضلا عن غيرهم، مما يؤثر بالسلب على فهم معاني القرآن.

أهداف البحث

1-علاقة اللغة بالقرآن، وأثر القرآن عليها، وعلى حركة التأليف المعجمي.

2- بيان اهتمام السلف باللغة العربية، ودوافع ذلكم الاهتمام.

3-أهم مؤشرات ودلائل أدوار اللغة العربية في فهم القرآن وتفسيره.

خطة البحث

وتتكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهارس.

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع ، وأهداف البحث ، وخطة البحث، ومنهجه.

المبحث الأول
اللغة العربية والقرآن

وفيه توطئة ومطلبان:

توطئة: أثر اللغة العربية على أنماط النسيج الديني والمعرفي

المطلب الأول: العلاقة بين اللغة العربية والقرآن

المسألة الأولى: التلازم بين اللغة العربية والقرآن

المسألة الثانية: اختصاص اللغة العربية بلغة القرآن.

المطلب الثاني: وجود القرآن، ورسوخ اللغة العربية.

المطلب الثالث: المعاجم اللغوية وعلاقتها بالقرآن.

المبحث الثاني
أهمية اللغة العربية في فهم القرآن وتفسيره

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مثار اهتمام السلف باللغة العربية.

المطلب الثاني: أهمية اللغة العربية في فهم القرآن وتفسيره.

المسألة الأولى: تعلم اللغة العربية من الديانة.

المسألة الثانية: أثر اللغة العربية في التكوين العلمي لعقل الإنسان.

المسألة الثالثة: تهيب السلف من تفسير القرآن بغير معرفة العربية.

المسألة الرابعة: إدراك دقائق اللغة العربية يجلي روعة بيان القرآن.

المسألة الخامسة: جناية عدم معرفة اللغة العربية على القرآن ومعانيه.

الخاتمة: شاملة أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث

سلكت في البحث المنهج الوصفي النقدي ، وفق المنهج الآتي – بإذن الله –:

١. ضبط الكلمات بالشكل عند الحاجة إلى ذلك.

٢. شرح الكلمات الغريبة عند الحاجة إلى ذلك.

٣. التعريف بالأماكن عند الحاجة إلى ذلك.

٤. التعريف بالأعلام الذين يتطلب البحث التعريف بهم ، تعريفًا موجزًا .

٥. التعريف بالقبائل و الفرق و المذاهب تعريفًا موجزًا.

٦. استخدام علامات الترقيم حسب الوسع والطاقة .

٧. توثيق النقل في الهامش مع الالتزام بالترتيب الزمني التاريخي لوفيات المؤلفين .

٨. تخريج الأحاديث و الآثار الواردة في البحث من مصادرها الأصلية .

٩. أكتفي بتخريج الحديث من الصحيحين أو أحدهما إذا وجد، وإذا لم يكن في أحد منهما فأخرجه من أمهات الكتب الستة، مع ذكر ما قاله أئمة الحديث والجرح والتعديل فيه من القبول والرد.

١٠. توثيق الأبيات الشعرية وعزوها إلى قائليها من دواوينهم أو كتب اللغة والأدب.

١١. عند النقل باختصار و تصرف، أو عند الرجوع إلى أكثر من مصدر ، يحال إليه بقول: انظر

١٢. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني على رواية حفص عن عاصم مع ترقيم الآيات وعزوها.

١٣. وضع خاتمة تتضمن أهم النتائج و التوصيات.

١٤. وضع فهارس تخدم الباحث و المطلع ، مشتملة على:

- قائمة المصادر
- فهرس الموضوعات

المبحث الأول
اللغة العربية والقرآن

توطئة: أثر اللغة العربية على أنماط النسيج الديني والمعرفي

أثر العربية يتعدى تقويم اللسان إلى تقويم الفكر، ونضوج العقل، بل وتُأثّر اللغة عكسًا على أخلاق المرء، فتزيد من اتزانه، وتُكثّف عليه احتماله، بل أثر اللغة العربية يصل إلى ثقافة المتكلمين بها، يتبين ذلك من خلال الكشف عن المسروق الثقافي لموروث الإرث العربي القديم، فتجد أن هناك سطوًا على ما نحته عقول العرب قديما كقبائل قحطان وجرهم، من خلال بعض الفلاسفة وغيرهم، كأرسطاطاليس وغيره، كقول العرب: كل شرقاء ولود، وكل صكّاء بيوض[1].

وما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى ألسنة الفلاسفة[2].

يقول عمرُ بن الخطاب: "**تعلَّموا العربيةَ؛ فإنها تُنبِتُ العقلَ وتزيدُ المروءةَ**"[3].

---

(1) يقول الخطيب البغدادي في بيان شيء من ذلكم السطو: "كيفَ يكون زعماء الباطنية مخصوصين بِمَعْرِفَة علل ذَلِك وَقد ذكرته الأطباء والفلاسفة في كتبهمْ، وصنف أرسطا طاليس في طبائع الْحَيَوَان كتابًا، وَمَا ذكرت الفلاسفة من هَذَا النَّوْع شَيْئًا إِلَّا مسروقًا من حكماء الْعَرَب الَّذين كَانُوا قبل زمَان الفلاسفة، من الْعَرَب القحطانية والجرهمية والطسمية وَسَائِر الأصناف الحميرية، وَقد ذكرت العَرَب في أشعارها وأمثالها جَمِيع طبائع الْحَيَوَان، وَلم يكن في زمانها باطني وَلَا زعيم للباطنية، وَإِنَّمَا أَخذ أرسطاطاليس الْفرق بَين مَا يلد وَمَا يبيض من قَول الْعَرَب في أَمْثَالهَا: كل شرقاء ولود وكل صكاء بيوض، وَلِهَذَا كَانَ الخفاش من الطير ولودًا لَا بيوضًا؛ لأن لَهَا أذنًا شرقاء، وكل ذَات أذن صكاء بيوض: كالحية والضب والطيور البائضة..."
الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبد القاهر بن طاهر الجرجاني (ص:295).
وفي معاجم اللغة سكّاء بالسين، وشرفاء بالفاء، قال في لسان العرب: "فالسَكَّاءُ: التي لا أذن لها. والشرفاء: التي لها أذن وإن كانت مشقوقة" (440/10)

(2) نُسبت هذه المقولة للإمام الشافعي، وهي وإن كانت صحيحة نافعة إلا أن نسبتها للإمام خطأ من وجهين: أن كتب الفلاسفة لما ترجمت في وقته بعد، وأن الرواية عنه فيها مجهول.
انظر: سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبي (8/ 268).

(3) رواه محمد بن خلف بن المرزبان في المروءة (ص:81)، وأحمد بن الحسين البيهقي في شعب الإيمان (210/3).

وتأمل حال الطفل عندما يولد غُفلاً عن أي لغة، وكيف أنه بتلقف اللغة ينبني نسيجه اللغوي والفكري والديني على دعائم هذه اللغة، فإذا تعلم اللغة العربية فهو يتعلم شجاعة العرب، وجودهم، وكرمهم، وغيرتهم، بل والفكر العربي بكل عجره وبجره، والنتيجة أنّ أيَّ بُعد عن اللغة العربية فهو في الحقيقة بعدٌ عن كل شي متصل بها وأعظهما اتصالاً القرآن العظيم.

بل بلغ بالقرن الأول أن كانوا يؤدبون ويزجرون ويستغفرون من اللحن، ذلك أن الأمر كان كبيرًا على ألسنتهم، والتي مكثت ردحًا من الزمن لم تتلوث بألسن أبناء سبايا الأمم والذين كثر اللحن بعدهم، ولعلمهم أن الخطأ في اللغة خطأ يترتب عليه أخطاء في الدين، والفكر، والثقافة، فقد مر عمر–رضي الله عنه– على قوم يسيئون الرمي، فقرعهم فقالوا: إنا قوم "متعلمين"، فأعرض مغضبًا، وقال: "**والله لخطؤكم في لسانكم أشد عليّ من خطئكم في رميكم**"(1).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "**اللغةُ العربيةُ من الدين، ومعرفتُها فرضٌ واجبٌ؛ فإنّ فهمَ الكتاب والسنة فرضٌ، ولا يُفهمُ إلا بفهم اللغةِ العربية، وما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجبٌ**"(2).

ووصل نسيج اللغة العربية تأثيرًا وأثرًا على اللغات الأخرى فزاحمت وأضافت: إما بسبب المجاورة، أو الدخول في الإسلام، أو التجارة، فانتشرت كثير من المفردات العربية على ألسنة أولئك، فتسمع الكلمات الإسلامية كما هي: الصلاة، الركعة، الخشوع، الزكاة ، الصيام، الحج...، ووصل ذلك إلى بعض الكلمات اليومية الدنيوية، كما في الفارسية، والأوردية، والتركية...وغير ذلك.

---

(1) **انظر**: الكامل في ضعفاء الرجال، لأحمد بن عدي الجرجاني (441/6)، وميزان الاعتدال، لمحمد بن أحمد الذهبي (309/3) ولم يصحح إسناده.

(2) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية (527/1).

وبعض تلك اللغات ما زالت على نمط الحرف العربي في الكتابة: كالفارسيَّة والكشميريَّة...، بل لم تسلم اللغات الأوربية من ممازجة اللغة العربية ومزاحمة مفرداتها لها.

وحاصل القول أن اللغة-أي لغة- هي أساس عقل وتفكير المرء، ولباسها يصبغ على صحابها ثقافة وتراث ما لاكه بلسانه. يقول ابن تيمية:" **اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخلق، والدين تأثيرًا قويًا بينًا، ويؤثر أيضًا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق**"[(1)].

المطلب الأول: العلاقة بين اللغة العربية و القرآن.

المسألة الأولى: التلازم بين اللغة العربية والقرآن.

علاقة اللغة بالقرآن علاقة لا تنفك بحال، لأن القرآن عربي واللغة عربية، وقد أمر الله نبيه ﭞ بتبين القرآن للناس فقال: **ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭼ**(سورة النحل-آية: ٤٤) والبيان لا يكون إلا بلسان عربي، لأن الله لا يرسل الرسل إلا بلسان أقوامهم ليفهموا عنهم ويحصل لهم التفكر، والذي هو ثمرة ذلكم الإنزال، **ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ** (سورة إبراهيم-آية: ٤).

وجاءت كثير من الآيات دالة على الأصالة العربية للقرآن، ومنها:

قوله تعالى: **ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ**(سورة يوسف-آية: ٢)

وقوله جل جلاله: **ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ** (سورة الرعد-آية: ٣٧)

وقوله سبحانه: **ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ**(سورة الزمر-آية: ٢٨)

وقوله تعالى: **ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ**(سورة فصلت-آية: ٣)

وقوله جل جلاله: **ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ** (سورة الشورى-آية: ٧)

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية (527/1).

ولذا لا يمكن لأحد أن يخوض غمار التفسير إلا بفهم اللغة العربية، ومن تجاسر على ذلك فهو مذموم، والخطأ عليه وارد لا محالة، قال الشاطبي:

"**لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف، فلا يصح أن يجرى في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جار في المعاني والألفاظ والأساليب**"(1).

مثاله: أن من عادة العرب اعتناؤها بمقصود الكلام، وغاية المعنى، ولم تكن تكترث باختيار اللفظة إذا كانت الألفاظ تؤدي المعنى المراد في النفس، فتجدهم-أحيانًا- يستغنون ببعض الألفاظ عما يرادفها أو يقاربها، ولا يعدون ذلك اختلافًا ولا اضطرابًا، ومن هنا تجد أن بعض أشعار العرب جاءت بألفاظ متقاربة لمعنى واحد، ولم يكن ذلك عيبًا ولا نقدًا.

قال أحمد بن يحيى، قال: أنشدني ابن الأعرابي:

وموضع زبن لا أريد مبيته كأني به من شدة الروع آنس

فقال له شيخ من أصحابه: ليس هكذا أنشدتنا، وإنما أنشدتنا: "وموضع ضيق" فقال: سبحان الله! تصحبنا منذ كذا وكذا ولا تعلم أن الزبن والضيق واحد؟!

ومن هنا نزل القرآن على سبعة أحرف، قال عنها-صلى الله عليه وسلم-:"كلها كاف شاف"، فكان القراء يقرؤون بالقراءات التي وافقت رسم عثمان من غير شك ولا إشكال، كقراءة: ملك، ومالك، ويخدعون، ويخدعون.

وكذلك الآيات المتشابهة في القرآن، والتي إذا أعيدت في موضوع آخر عادت بعض ألفاظها بالترادف أو المقاربة كـ"**انفجرت**" و "**انبجست**"، و"**يذبحون**" و"**يقتلون**"، ومن هنا نجد أن ابن عاشور كثيرًا ما يرجع ذلك إلا التفنن في الكلام، ودفع سآمة التكرار، وعدم إعادته بنفس اللفظ كما هي عادة العرب، كما قال في (أنزل) و (أوتي) في قوله

(1) الموافقات، لإبراهيم بن موسى الشاطبي (131/2).

تعالى: ﭽﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ (سورة البقرة–آية: ١٣٦)" **والتعبير في جانب بعض هذه الشرائع بلفظ (أنزل) وفي بعضها بلفظ (أوتي) تفنن لتجنب إعادة اللفظ الواحد مرارا"**[1].

ولا مانع من ذلك أن تظهر للمتأمل نكتة من وجود ذلكم الاختلاف، ولكن بلا تمحل أو استصناع، قال ابن عاشور في الآيتين من سورة البقرة: ﭽﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ(آية: ٤٨) ﭽﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ(آية: ١٢٣):"**وهو تفنن، والتفنن في الكلام تنتفي به سآمة الإعادة مع حصول المقصود من التكرير، وقد حصل مع التفنن نكتة لطيفة...**" [2]، ثم ذكرها.

فلأجل هذا كانت العرب تجعل المعنى هو المقصود الأعظم، وإنما تصلح الألفاظ للمعاني، ولم يكن السلف يتعمقون في مرادات الألفاظ إذا كان المعنى العام واضحًا جليًا، صحيح البخاري" عن أنس بن مالك، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ: ﭽﯦ ﯧ ﯨ ﭼ(سورة عبس–آية: ٣١) ، قال: ما الأب؟ ثم قال: ما كلفنا هذا. أو قال: ما أمرنا بهذ.

المسألة الثانية: اختصاص اللغة العربية بلغة القرآن.

خص الله العربية بإنزال كتابه الكريم دون سائر اللغات لأن غيرها قاصرةٌ وعاجزة عن بيانٍ كبيان العربية، " وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض"[3].

---

(1) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور (739/1).

(2) المرجع السابق (698/1).

(3) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (365/4)

وإن كانت اللغات الأخرى قادرة على البيان هي كذلك، لكن عجزها يكمن في وصولها حدّ البلاغة والفصاحة والإعجاز، وإلا فإن الأبكم قد يُبين عن كلامه ويفهم غيرَه، ومع ذلك لا يسمى متكلمًا، وأبعد منه أن يوصف بالبليغ الفصيح.

قال ابن فارس: "**وإن أردت أنَّ سائر اللغات تبيّن إبانة اللغة العربية فهذا غَلط، لأنا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذَلِكَ إِلاَّ باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرةً، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسمّاة بالأسماء المترادفة. فأين هَذَا من ذاك، وأين لسائر اللغات من السَّعة مَا للغة العرب؟ هَذَا مَا لا خفاء بِهِ عَلَى ذي نُهيَة**"[1].

ومن هنا لا يستطيع أحد أن يترجم اللغة العربية إلى اللغات الأخرى ترجمة حرفية، بل هو من المحرمات، أما الترجمة المعنوية أو التفسيرية فهي جائزة، لكنها تضعف عما احتوت عليه بلاغة العربية وفصاحتها، مع روعة تراكيبها وجزالة نظمها[2]، بينما نجد نَقْل "الإنجيل عن سريانية إِلَى الحَبشية والرُّومية، وترجمت التوراة والزَّبور وسائرُ كتب الله عزّ وجلّ بالعربية، لأن العجم لَمْ تتَّسع فِي المجاز اتساع العرب"[3].

---

(1) الصاحبي في فقه اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء (ص:20)

(2) **انظر في بيان الترجمة وتعريفا وحكمها:** مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني (109/2 وما بعدها)، والتفسير والمفسرون، لمحمد الذهبي (20/1 ومابعدها)، وترجمات معاني القرآن الكريم، د.عبدالله بن عباس الندوي (ص: 11).

وقد أثيرت قضية ترجمة معاني القرآن على نطاق واسع منتصف القرن الماضي، قبل يستقر قرارها في هذا العصر، **وانظر ما كتبه:** محمد رشيد رضا عن ترجمة القرآن في مجلة المنار (268/11)، ومحمد مصطفى المراغي في بحثه: ترجمة القرآن وأحكامها، وبحث لمحمود شلتوت، بعنوان: ترجمة القرآن ونصوص العلماء فيها، ومسألة ترجمة القرآن، لمفتي الدولة العثمانية مصطفى صبري، وبحث حول ترجمة معاني القرآن، لعبدالعزيز خليل.

(3) الصاحبي في فقه اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء (ص:20)

المطلب الثاني: وجود القرآن ورسوخ اللغة العربية.

لولا القرآن لتعذر بقاء اللغة العربية على ما هي عليه الآن، ولانحلت انحلال مذهب ابن جرير، إلا بقايا مما تلوكه الألسن، ولأصبحنا نحتاج إلى المعاجم والأسفار لفك رموزها، وحل الغريب المتكاثر منها، ولكانت معاجم اللغة لا يسعها مثاقيل الأوراق، ولا أوزان الأحبار.

ولا شك أن من أقوى أسباب بقاء اللغة العربية كونها محفوظة بحفظ القرآن لها، والذي حفظه الله لا البشر**چ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڼ چ**(سورة الحجر-آية: ٩) وذلك أن الهمم انصرفت لدرس القرآن، وجمعه من السطور إلى الصدور، فحُفظتْ معه اللغة العربية، وما زالا العلماء يلقون صريف أقلامهم لتبيين معاني القرآن وتفسيره، فمئات التفسير تخط ألوان البيان في توضيح وكشف أساليب القرآن، وما انطوى عليه من إثراءات العربية، وعظيم البديع، وجميل النظم.

فالإسلام بشكل عام خدم اللغة العربية حتى أصبحت بألفاظها دينًا، وفكرًا، وثقافة، وسياسة، وأدبًا، بل كانت اللغة العربية هي إحدى النواقل الكبار التي نقلت الحضارات الأوربية والغربية إلى الابتكارات، والتنمية، وصمدت اللغة رغم الحروب التي صدعت العالم العربي والإسلامي، وهذا ما جعل الغرب يعترف بذلك، يقول ثيودر نولدكه:

"**إن العربية لم تصر لغة عالمية حقًا إلا بسبب القرآن الكريم**"[(1)].

ولا عجب في ذلك فإنها اللغة التي يمارسها المسلم حتى ولو لم يكن عربيًا، فإنه يلهج بها في أذانه وصلاته خمس مرات في اليوم والليلة، وقراءته للقرآن، بل له هاجس لا يفارقه في ضرورة تعلم العربية، لأنها لغة دينه ورسوله-صلى الله عليه وسلم- وكتابه، مما يؤكد رسوخ هذه اللغة على مر العصور ما رسخ معها القرآن، ودوحة الإسلام، فأصبحت لغة يتغنى بها ملايين الناس، وهي لغة رسمية لعشرات الدول.

---

(1) اللغات السامية، ترجمة: د. رمضان عبدالتواب (ص:75).

بل لغة القرآن هي عمدة القواعد، وأصول الزوائد، وإلى نظم القرآن وأسلوبه البديع ينطلق كل متكلم وصانع، وهو سبيل تقويم اللسان للناشئة، ومناط تعجب البلغاء، ومثار تأمل الحكماء.

قال الراغب(ت:502) في مقدمته:" **فألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة** " [1].

وحاصل القول: أن القرآن حول اللغة العربية من كونها لغةً قبائلية، ينطق بها أرباب الصحارى والخيام على رقعة الجزيرة العربية الواسعة إلى لغة عالمية اعترفت بها المنظمات العالمية والدولية: كالأمم المتحدة، ومجلس الأمن الدولي، ومنظمة اليونسكو... [2].

المطلب الثالث: المعاجم اللغوية وعلاقتها بالقرآن.

تدوين ألفاظ اللغة بدأ قديمًا، فأسند السِّيرافي عن عيسى بن عمر قال: "كنا نمشي مع الحسن[3]، ومعنا عبد الله بن أبي إسحاق، قال: فقال: **"حادثوا هذه النفوس فإنها طُلَعَة، ولا تدعوها فتنزعُ بكم إلى شر غاية"**.

قال: فأخرج عبد الله بن أبي إسحاق ألواحه فكتبها فقال: استفدنا منك يا أبا سعيد: طُلَعَة" [4].

---

(1) المفردات في غريب القرآن (ص:6) .

(2) **انظر**: التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، لمحمد الأوراغي (ص:153).

(3) هو البصري.

(4) أخبار النحويين البصريين، للحسن بن عبد الله السيرافي (ص:62).

يقال: طُلَعة بضم الطاء وفتح اللام، أو طَلِعَة بفتح الطاء وكسر اللام: الكثيرة التطلع إلى الشيء، أي: أنها كثيرة الميل إلى هواها تشتهيه حتى تهلك صاحبها.

ثم بعد ذلك تداعت الكتب في تدوين اللغة، وكان ذلك في بداية القرن الثاني، ودون كثير من العلماء لغة العرب: كالخليل الفراهيدي، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة...وغيرهم.

وإن مما يدل على الارتباط المتلازم بين المعاجم والقرآن أن فكرة المعاجم العربية ابتداءً ما قامت إلا لبيان الغريب من القرآن، فكانت المعاجم اللغوية أول الأمر محضَ بيان ألفاظ القرآن ومفرداته، كمعاني القرآن للفراء، والزجاج، والنحاس...، وغيرهم ممن قرّت كتبهم على بيان القرآن وكشف الغامض من ألفاظه، ثم توسعت الفكرة، وبقيت أصل النية الأولى.

قال ابن منظور في مقدمة لسان العرب[1]:

" **فإنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية**".

فأبان-رحمه الله- أن النية مستصحبة كنية الأوائل الذين أفردوا المعاجم لخدمة الوحي، والتوسع جاء لأن اللغة العربية هي لغة القرآن فعوائد بيانها يعود على حفظ الأصل.

"ويظهر أن الباعث إلى جمع اللغة وتأليف المعاجم هو حاجة العرب إلى تفسير ما استغلق عليهم من ألفاظ القرآن، ورغبتهم في حراسة كتابهم من أن يتقحمه خطأ في النطق أو الفهم"[2].

وعلى هذا فإن القرآن سَبَبُ ظهور علم الغريب، وهو نواته، وبداية ثورته.

ومن الكتب التي وصلَتْنَا في هذا الحقل:

معاني القرآن، للفراء، والزجاج، والأخفش... .

و كتاب الغريبين، غريب القرآن وغريب الحديث، لأبي عبيد الهروي.

انظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم ابن منظور (237/8).

(1) لسان العرب، لمحمد بن مكرم ابن منظور (8/1).

(2) المعاجم اللغوية العربية، بدايتها وتطورها، د. إميل يعقوب (ص:26).

وكتاب بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، للتركماني.

وكتاب تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لابن الجوزي...وغيرها كثير.

ومع بيان الغريب في كتبهم، فإن من كتب في علم المعاني أو الغريب يسعفون ذلك أحيانًا بالقراءة المفسِّرة، والبيت الشعري، وآراء العلماء، فهم ومع عنايتهم بالغريب فقد اعتنوا ببيان مواضيع لغوية أخرى متعلقة بالقرآن: كالحذف، والاختصار، وذكر الواحد بلفظ الجمع، والجمع بلفظ الواحد،...وغير ذلك.

فقدّمَتْ هذه الكتب فيضًا من الشواهد والأقوال واللغات التي تدور حول المفردة القرآنية، حتى شكلت كتبُ غريب القرآن ثروة لغوية أصيلة، رجع إليها أهل التفاسير عبر قرون متطاولة.

وكذلك كتب المعاجم اللغوية والتي هي أوسع من كتب المعاني والغريب لا تخلو هذه المعاجم ولاسيما المطولة منها من تفسير غريب القرآن، وضبط ألفاظه، وبيان لهجات العرب المختلفة، ومن هذه المعاجم: تهذيب اللغة، للأزهري، ولسان العرب، لابن منظور، وتاج العروس، للزبيدي...وغيرها(1).

ولعل من البواعث التي بعثتهم على تدوين غريب القرآن كثرة السؤالات عن مفردات القرآن في وقت الصحابة، ومن تلك الأخبار الكثيرة: ما قاله عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– على المنبر: يا أيها الناس ما تقولون في قول الله:ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ(سورة النحل–آية: ٤٧) فسكت الناس، فقام شيخ فقال: يا أمير المؤمنين هذه لغتنا في هذيل، التخوّف: التَّنَقُّص، فقال عمر: وهل تعرف العرب ذلك في أشعارهم؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي:

تَخوّف الرحلَ منها تامِكا قَرِدَا　　　كما تَخوف عودَ النَّبْعَة السَّفِنُ(2).

(1) **انظر**: عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن، أ. د. أحمد بن محمد الخراط (ص:12-19).

(2) عزاه الأزهري في التهذيب لابن مقبل (242/7)، وأورد البيت الطبري في تفسيره (213/17)، والفراء في معانيه (202/3)، وقال:" يصف ناقة، وأن السير تنقص سنامها بعد تمكنه واكتنازه"، والقصة بكمالها من تفسير الثعلبي (19/6).

كما أن بعض المفردات قد تخفى على أفراد الصحابة، كما قال ابن عباس–رضي الله عنهما–: "**أربع من القرآن لا أدري ما هي: الأواه، والحنان، والرقيم، والغسلين، وكل القرآن أعلمه إلا هذه الأربع**"[1].

وهذا الخفاء خفاء نسبي، فما خفي على البعض، لم يخف على البعض الآخر.

المبحث الثاني: أهمية اللغة العربية في فهم القرآن وتفسيره

المطلب الأول: مثار اهتمام السلف باللغة العربية.

كان السلف يولون اللغة العربية اهتمامًا بالغًا، وينكرون على من لم يتضلع لغة العرب أن يفسر القرآن، بل أبعد من ذلك فيمن لم يحسن قراءته، بله فهم معانيه.

فالتخوف: التنقص شيئًا فشيئًا. **والتامك**: السنام المرتفع. **والقَرِد**: الذي أكله القراد من كثرة أسفارها. أو الذي تنقب وفسد من الرحل في السفر. **والنبعة**: واحدة النبع، وهو شجر تتخذ منه القسي. **والسفن**: المبرد الحديد الذي ينحت به الخشب، يقول: تنقص رحلها سنامها المرتفع الذي تنقب من كثرة السفر، كما تنقص المبرد عود النبعة. وفيه تشبيه بها في الصلابة. **وانظر في شرح تلك المعاني**: تفسير القرطبي (111/10)، وغرائب القرآن، للنيسابوري (266/4)، والصحاح للفارابي(2136/5)، ولسان العرب(101/9)،و (94/11)، و(210/13).

(1) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره من تفسير سورة الكهف(325/2)، **وانظر**: البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير (333/8).

مرّ الشعبي على أبي صالح باذان[1] فأخذ بأذنه فعركها، وقال: "**يا مُخْبِثًا تفسر القرآن، وأنت لا تقرأ القرآن**"[2]. أي: لا تحسن قراءته.

وما زال استدراك السلف على بعضهم في مجال فهم الآية من اتجاه اللغة محكيًا باقيًا، وبسبب تفاوت بعضهم في قربهم وبعدهم عن اللغة وقع الكبار من العلماء في زلل ذلك، فعن أبي العالية أنه سُئل عن معنى قوله: **ﭽﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ**(سورة الماعون–الآية:٥) فقال: "**هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدري عن شفع أو وتر**"، فقال الحسن: "**مه يا أبا العالية. هو الَّذي يسهو عن ميقاتها حتى تفوت ألا ترى قوله: ﭽﮍ ﮎ ﭼ**"[3].

وكل ذلك لأجل ما فات أبا العالية–رحمه الله– من الوقوف على حرف (عن)، بينما وقف عندها الحسن، وأبان عن المعنى المراد، فدلالة الحرف (عن) تدل على التأخر عن إقامته لوقتها، أو تفويت أركانها؛ لعدم الاهتمام بأمر الله بها.

أما ما فهمه أبو العالية من كون (عن) بمعنى (في) فهذا لا تحتمله الآية، ولا والوعيد، فالسهو في الصلاة لا يحتمله كل هذا اللوم، بخلاف السهو عنها، ولأن السهو في الصلاة يقع من كل أحد، حتى من النبي –صلى الله عليه وسلم–.

وبثت لنا كتب العلماء نماذج فائقة، وصور بديعة، تدل على عظيم الديانة لما كان عليه الأوائل من عظيم صيانة اللغة حفاظًا على جرثومة الإسلام.

---

(1) أبو صالح، مولى أم هانئ، اسمه: باذام، ويقال: باذان، ويقال: ذكوان، وضعفوا تفسيره لأسباب غير ماذكر، منها: أخذه عن الكلبي، قال عنه ابن عدي: "عامة ما يرويه تفسير، وما أقل ما له من المسند، وفي ذلك التفسير ما لم يتابعه عليه أهل التفسير، ولم أعلم أحدًا من المتقدمين رضيه".

انظر: الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي (165/1)، وتهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (417/1).

(2) **انظر**: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (91/1)، والضعفاء الكبير، لمحمد بن عمرو العقيلي (165/1)، وتهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (417/1).

(3) رواه عبدالرزاق في تفسيره، عند سورة الماعون، برقم (3713)، وعزاه السيوطي في تفسيره الدر المنثور إلى ابن المنذر (643/8).

ومن ذلك: أن كاتبًا كتبَ لأبي موسى الأشعريّ خطابًا لعُمر فبدأَه بقوله: "من أبو موسى"، فكتبَ إليه عُمرُ: "**أنْ قنع كاتبك سوطًا، واستبدِله بغيره**"[1].

وسمِعَ الأعمشُ رجلاً يلحَنُ في كلامِه فقال: من الذي يتكلَّم وقلبي منه يتألَّمُ؟[2]

وكان الحسنُ البصريُّ –رحمه الله– يقول: "**ربما دعوتُ فلَحَنتُ فأخافُ أن لا يُستجابَ لي**"[3].

وكان أيوبُ السِّختيانيُّ –رحمه الله– إذا لحَنَ استغفرَ اللهَ[4].

وكل هذه الاستدراكات، والزواجر، والمراجعات...وغيرها، لتنبو عن عظيم إجلال السلف للغة القرآن، وأن الخطأ في اللغة بداية انفتاح الدوارة على اللحن الذي يحرف المعنى، أو لا يُفْهِمه، إذ إن قراءة القرآن على الوجه الصحيح هو من أصول الشريعة؛ لأنه بذلك تقوم معانيه، والتي هي الأحكام، والمواعظ، والقصص.

قال ابن عطية:" **إعراب القرآن أصل في الشريعة، لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع**"[5].

المطلب الثاني: أهمية اللغة العربية في فهم القرآن وتفسيره.

كل ما مر من مباحث ومطالب هو رافد، وموطئٌ لخلاصة هذا البحث، وصالح بأن يكون ظهارةً لبطانة، فما مضى عموم، والتالي لبٌّ وجوهر.

وتتضح أهمية اللغة العربية من خلال هذا الموقف الذي سطره التاريخ، والذي أفزع عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–.

---

(1) **انظر**: الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (10/2)، ومعجم الأدباء، لياقوت بن عبد الله الحموي (23/1)، وجاء الخبر بألفاظ عدة، وفي معجم الأدباء أنه أشخصه عنده وضربه .

(2) **انظر**: غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، لأبي إسحاق محمد بن إبراهيم المعروف بالوطواط (ص:222).

(3) **انظر**: غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، لمحمد بن إبراهيم المعروف بالوطواط (ص:222).

(4) **انظر**: معجم الأدباء، لياقوت بن عبد الله الحموي (23/1).

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن غالب بن عطية (40/1).

فعن ابن أبي مليكة قال: قدم أعرابي في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من يقرئني مما أنزل على محمد –صلى الله عليه وسلم–؟

قال: فأقرأه رجل" براءة"، فقال: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ (سورة التوبة–: ٣) بالجر.

فقال الأعرابي: أوقد برئ الله من رسوله؟ فإن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه.

فبلغ عمر مقالة الأعرابي: فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة ولاعلم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني، فأقرأني هذا سورة" براءة" فقال:" أن الله بريء من المشركين ورسولِه"، فقلت: أو قد برئ الله من رسوله، إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه.

فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي.

قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟

قال" أن الله بريء من المشركين ورسولُه".

فقال الأعرابي: وأنا أبرأ مما برئ الله ورسولُه منه.

فأمر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ألا يقرئ الناس إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود، فوضع النحو[1].

فيتبين لنا من هذا أن الإعراب وليد المعنى، وأن الخطأ فيه يحرف المعاني، ويقلب المراد، ويجعل –مع الاعتقاد– الإيمانَ كفرًا، والكفرَ إيمانًا.

قال ابن قتيبة عن أمة العرب:" ولها الإعراب الذي جعله الله وشيًا لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول، لا يفرّق بينهما، إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكلّ واحد منهما– إلا بالإعراب.

(1) الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي (24/1).

ولو أن قارئا قرأ: ﭽﭼ ﭽ ﭾﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ(سورة يس-آية: ٧٦) وترك طريق الابتداء بإنّا، وأعمل القول فيها بالنصب على مذهب من ينصب (أنّ) بالقول كما ينصبها بالظن- لقلب المعنى عن جهته، وأزاله عن طريقته، وجعل النبيّ-عليه السلام- محزونا لقولهم: إنّ الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون. وهذا كفر ممن تعمّده، وضرب من اللحن لا تجوز الصلاة به، ولا يجوز للمأمومين أن يتجوّزوا فيه"(1).

ومن هذا المنطلق يرى البحث أن هناك عناصر مهمة تدل على أهمية لغة العرب وتعلمها على فهم القرآن وتفسيره، أوجز ذلك في عدة دلائل:

المسألة الأولى: تعلم اللغة العربية من الديانة.

إن اللغة العربية بحر لا يستوعبها لسان، ولا يحيط بفضلها وصف أو بيان، فلا يحيط باللغة إلا نبي كما قاله الشافعي(2).

وقالَ -رحمه الله-: " **أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظًا** "(3).

فلذا نجد أن الصحابة حثوا على تعلم غريبة، ومعرفة مفرداته، قال أبو هريرة-رضي الله عنه-: "**أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه**"(4).

والمراد بالإعراب هنا ما يقابل اللحن، وهو: معرفة معاني ألفاظ القرآن، وليس المراد به المعنى الحادث عند النحاة(5).

ومن منطلق قول أبي هريرة -رضي الله عنه- غدا تعلم اللغة العربية آلة مهمة للوصول إلى فهم الدين؛ لأن الأحكام الشرعية لا تؤخذ إلا من نص عربي: كتاب أو سنة،

(1) تأويل مشكل القرآن (ص:18).
(2) الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (126/2).
(3) الرسالة، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ص:34).
(4) أخرجه الحاكم في المستدرك (477/2)، في كتاب التفسير سورة السجدة، ولم يصحح الذهبي رفعه، بل قال: "أُجمع على ضعفه"، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (546/3)، باب: تعظيم القرآن، فصل في قراءة القرآن بالتفخيم والإعراب.
(5) **انظر**: الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (3/2).

ولا يمكن أن تستنبط الأحكام الشرعية من التراجم لمعاني القرآن والسنة باللغات الأخرى؛ لأنها في محيط تفسير المعنى لا النص القائم الأصيل بذاته.

فلا غرو بعد ذلك أن يكون تعلمها من الديانة، وأن يتكلم العلماء بعد ذلك في حكم تعلمها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "**اللغةُ العربيةُ من الدين، ومعرفتُها فرضٌ واجبٌ؛ فإنّ فهمَ الكتاب والسنة فرضٌ، ولا يُفهمُ إلا بفهم اللغةِ العربية، وما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجبٌ**"(1).

ويقول أيضًا رحمه الله: "**ومعلومٌ أن تعلُّمَ العربية وتعليمَها فرضٌ على الكفاية**"(2).

المسألة الثانية: أثر اللغة العربية في التكوين العلمي لعقل الإنسان.

إن الأمة يجب عليها أن تحافظ على اللسان العربي وقاعدته، وكلما زاد الإنسان في فهم اللغة زاد تحصيله الشرعي، فلا يمكن له معرفة أدوات الخاص من العام، والمطلق من المقيد، والمعرّف من المنكّر، والمسند من المسند إليه...إلا بفهم قانون ذلك اللسان.

قال الشاطبي عن ذلك: "**إن الشريعةَ عربيةٌّ، وإذا كانت عربيَّةً فلا يفهمُها حقَّ الفهمِ إلا من فهِمَ اللغةَ العربيَّةَ حقَّ الفهمِ، فإذا فرضنا مُبتدِئًا في فهم العربية فهو مُبتدِئٌ في فهم الشريعة، أو متوسِّطًا فهو متوسِّطٌ في فهم الشريعة، فإن انتهى إلى درجة الغايةِ في العربية كان كذلك في الشريعة**"(3).

وبالتالي كلما قوي في أصول الشريعة كلما تمكن من تفسير القرآن على وجهه.

قال ابن عطية:" **إعراب القرآن أصل في الشريعة، لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع**"(4).

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية (527/1).

(2) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية (252/32).

(3) الموافقات، لإبراهيم بن موسى الشاطبي (53/5).

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن غالب بن عطية (40/1).

المسألة الثالثة: تهيب السلف من تفسير القرآن بغير معرفة بالعربية.

ومن هنا حذر السلف من تفسير القرآن دون معرفة كلام العرب بعبارة غاية في النكال، يقول مالك بن أنس: "**لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً**"(1).

ويرون أن الكلام في كتاب الله بغير معرفة سنن العرب وفهومها من الإثم المحرم، قال مجاهد: "**لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب**"(2).

بل كانوا يتناءون عن تفسيره، ويحتاطون لأنفسهم قبل احتياطهم للسائلين، قال إبراهيم:" **كانوا يكرهون أن يتكلموا في القرآن**"(3).

ولاشك أنهم أولُّ ما يفسرون القرآن يفسرونه بالقرآن، وبسنة خير الأنام، فإن لم يجدوا من ذلك قولاً احتكموا إلى لغة العرب فإنها ديوانهم.

وكان ابن عباس–رضي الله عنهما–يقول: "**إذا أشكل عليكم الشيء من القرآن فارجعوا فيه إلى الشعر، فإنه ديوان العرب**"(4)، وكان يُسأل عن القرآن فينشد الشعر.

قال الزركشي: "**وهذا الباب عظيم الخطر، ومن هنا تهيَّب كثير من السلف تفسير القرآن، وتركوا القول فيه حذرًا أن يزلوا فيذهبوا عن المراد، وإن كانوا علماء باللسان فقهاء في الدين، وكان الأصمعي وهو إمام اللغة لا يفسر شيئًا من غريب القرآن، وحُكي عنه أنه سئل عن قول الله –تبارك وتعالى–:چ □ □ چ يوسف: ٣٠،**

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (546/3)، باب: تعظيم القرآن، فصل في ترك التفسير بالظن وهو بلفظ:" مالك بن أنس يقول: "ألا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر ذلك إلا جعلته نكالًا". واللفظ أعلاه عند البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (292/1).

(2) البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن عبد الله الزركشي (292/1).

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (546/3)، باب: تعظيم القرآن، فصل في ترك التفسير بالظن.

(4) أخرجه الطبري في تهذيب الآثار برقم (942) و (637/2)، والحاكم في المستدرك برقم (3854) و(542/2).

فسكت، وقال: هذا في القرآن، ثم ذكر قولاً لبعض العرب في جارية لقوم أرادوا بيعها: أتبيعونها وهي لكم شغاف"[1].

المسألة الرابعة: إدراك دقائق اللغة العربية يجلي روعة بيان القرآن.

نص العلماء على أهمية فهم اللغة العربية قبل الخوض في غمار التفسير القرآن، وأنه على من أراد التفسير إجالةُ النظر في كل علم، والاعتناء بكل فن، وأعظمها فنون اللغة العربية، وأخصها: البلاغة والفصاحة، فالمفسر وإن حفظ القواميس العظام، والفقيه وإن برز على الأقران، وحافظُ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية [2] أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنّحْوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن عَلَك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدّى منهم أحد لسلوك تفسير القرآن، ولا يغوص على شيء من حقائقه، إلا من برع منهم في علمين مختصين بالقرآن وهما: علما البيان، والمعاني[3].

ولا يمكن الوصول إلى بلاغة القرآن إلا باللغة العربية وإدراك أسرارها، فإن بلاغة القرآن لا تدانيها بلاغة، وكل كلام –وإن علا– فإنه دونها، وهذه البلاغة لا يحيط بها وصفٌ، ولا يستطيع أن يلملم خصائصَها مُجِدّ، فعلوم البلاغة وما حوته من بيان وبديع ومعاني، وكذلك النقد والإعجاز، وما حواهما من القديم والحديث، إنما دُرس للكشف عن مظاهر هذه البلاغة وأسرارها.

وهذه البلاغة جعلت الصنديدَ القرشيَّ الوليدَ بنَ المغيرة يتساءل متعجبًا:

"ماذا أقول فيه؟! فو الله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيدة، ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيء من هذا، والله إن لقوله الذي

---

(1) البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن عبدالله الزركشي (295/1) .

(2) أيوب بن زيد بن قيس الهلالي، كان لَسِنًا خطيبًا يُضرب به المثل، يقال: أبلغ من ابن القرية، سيق إلى الحجاج أسيرًا في فتنة ابن الأشعث، فقتله، فلما رآه قتيلاً قال: لو تركناه حتى نسمع من كلامه !

انظر: المعارف، لعبدالله بن مسلم ابن قتيبة (ص:404)، وتاريخ الإسلام، لمحمد بن أحمد الذهبي (20/6).

(3) **انظر**: الكشاف، لمحمود بن عمر الزمخشري (43/1) .

يقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، معذق أسفلُه، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى" [1].

ولقد تعددت مناحي البلاغة فيه، حتى غدا موردًا لكل وارد، ومنهلاً لكل ناهل؛ ذلك أن القرآن بلغ الذروة في صفائه وبيانه.

قال الباقلاني في ذكره جملة من وجوه إعجازه:

"**الوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة، إلى الحد الذي يُعلم عجزُ الخلق عنه**" [2].

ومن مناحي البلاغة القرآنية تنوع المعاني على حسب المؤثرات اللغوية الدقيقة، مع التوافق والتناسق في السياق العام الذي سيقت لأجله، وانتظمت فيه.

فتغير بعض **الحروف**، أو **الأسماء والأوصاف**، أو **الصيغ والأفعال** التي تكررت في القرآن، وإبراز سر هذا التغير الذي لم ينشأ إلا عن حكمة، ولم يطرأ إلا عن بيان، له عظيم الأثر في الذائقة العربية الصحيحية.

ومثاله في الحرف: ما أخبره الله عن فرعون وقومه في ذبح أبناء بني إسرائيل فقال- تعالى-: ﭽ ﭙ ﭚ ﭼ(سورة البقرة-آية:٤٩)، وفي موضع آخر جاء الفعل مُتَوَّجًا بالواو، فقال -سبحانه وتعالى-: ﭽ ﮚ ﭼ(سورة إبراهيم-آية: ٦) .

ومثاله في الأسماء والأوصاف: اختلاف أطوار الخلق في قصة آدم، ففي موضع أخبر الله-سبحانه وتعالى- أنه من طين، وفي آخر أنه من تراب، وفي آخر أنه من صلصال، وهذا الصلصال مرة وُصِف بأنه من حمأ مسنون، ومرة وُصِف بأنه كالفخار.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (550/2)، رقم (3872)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي والبيهقي في شعب الإيمان (157/1).

(2) إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ص:35) .

ومثاله في الصيغ والأفعال: قول الله-سبحانه وتعالى- في سورة البقرة من قصة موسى مع بني إسرائيل:چذ ذ چ(سورة البقرة-آية: ٦٠)، وقوله -سبحانه و تعالى-:چث ث چ(سورة الأعراف- : ١٦٠)، فجاءت اللفظتان مختلفتي المعنى، مع أن الحدث واحد !

إلى غير ذلك من الأمثلة التي تحتاج إلى استقراء ومعرفة...

المسألة الخامسة: جناية عدم معرفة اللغة على معاني القرآن.

من أراد معرفة كتاب الله - جل وعلا — من كلمة غريبة أو نظم عجيب، لم يجد له من العربية بدًّا، فيكون تعلم العربية واجبًا على كل عالمٍ.

ولم يزل الخلفاء الراشدون بعد النبي ﷺ يحثون على تعلم العربية وحفظها والرعاية لمعانيها، إذ هي من الدين بالمكان المعلوم والمحل المخصوص، وهي لغة القرآن وبه يفهم.

قال هارون الرشيد يومًا لبنيه:"**ما ضر أحدَكم لو تعلم من العربية ما يُصلِح به لسانَه، أيسر أحدَكم أن يكون لسانُه كلسان عبده وأمته**"[1].

وعدم فهم اللغة يأتي بنتائج سلبية، وثمار غير مرعية، فيُساء الاستدلال، وتنزل اللفظة على غير الحال، ويختل ميزان الإعراب، أو الاشتقاق، أو المعنى.

قال الزركشي:" وعلى الناظر في كتاب الله، الكاشف عن أسراره، النظر في هيئة الكلمة، وصيغتها، ومحلها: ككونها مبتدأ أو خبرًا، أو فاعلة أو مفعولة، أو في مبادئ الكلام أو في جواب، إلى غير ذلك من تعريف أو تنكير، أو جمع قلة أو كثرة، إلى غير ذلك"[2].

ويكون لهذه الجنايات أسباب، منها:

-عدم مراعاة تعدية الأفعال وأثرها على اختلاف المعنى.

---

(1) **انظر**: صبح الأعشى في كتابة الإنشا، لأحمد بن علي القلقشندي (205/1) .

(2) البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن عبدالله الزركشي (302/1) .

قال ابن قتيبة في تفسير قول الله- تبارك وتعالى-: **ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ**(سورة الزخرف-آية: ٣٦)، إنه من عشوت أعشو عشوًا إذا نظرت، أي: نظر إلى الذكر نظرًا ضعيفًا، أو مُظلمًا[1].

وتفسيره-رحمه الله- من الغلط بمكان، وإنما غلّطه علماء الأمة؛ لأنه لم يلحظ تعدية الفعل بحرف الجر (عن) والتي صيرتها لمعنى آخر[2].

وإنما معناها: يعرض، وهو قول الأزهري[3]، وبيّن القرطبي أن القول قوله، وقال: "**وكذلك قال جميع أهل المعرفة**" [4].

-اختيار اللغة الأبعد لموافقة معتقد فاسد.

فَمِن ذلك، من فسر التكليم بالتجريح، في قول الله-تعالى-:**ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ**(سورة النساء-آية: ١٦٤).

وصدق الزمخشري وأنصف عندما بين أنه لمن بدع التفاسير التي ينبو عنها الفهم، ولا يَبين بها إلا الوهم، فقال: "**ومن بدع التفاسير أنه من الكَلْم، وأن معناه وجرّح اللهُ موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن**" [5].

مع أنه من المفترض أن يروق هذا المعنى المعسوف لمنهج المعتزلة العقدي لا اللغوي؛ لأنه وبه يتخلصون من إثبات صفة الكلام للباري-جل شأنه-.

ولكنهم مع ذلك لم يرتضوا قولاً يخالف الأذواق، ورأيًا تمجُّه الأسماع، وتلاعبًا تأباه اللغة سياقًا وتركيبًا، فلأجل ذا فإن جمهور الأشاعرة صنعوا صُنْع الزمخشري، ولفُّوا بالإنكار لفيفه، قال الرازي (ت:606):"**وهذا تفسير باطل**" [6]

---

(1) **انظر**: غريب الحديث، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (556/2) .

(2) **انظر**: البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن عبدالله الزركشي (294/1) .

(3) **انظر**: تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهري (37/3) .

(4) الجامع لأحكام القرآن (90/16) .

(5) الكشاف، لمحمود بن عمر الزمخشري (624/1).

(6) التفسير الكبير لمحمد بن عمر الرازي (87/11).

ولأن هذا من سخف العقل، وقلة الحيلة، وغلبة الهوى، فوُصِم هذا القول بالبطلان، فالآية مسوقة في بيان الوحي، مسبوقة بتعداد إيحاء الله إلى رسله وأنبيائه، ولم تذكر بلاء الأنبياء بالفتن، قال-جل وعلا-: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ (سورة النساء-آية: ١٦٣ - ١٦٤).

-تفسير الآية بمنظور لغوي بحت دون النظر إلى أقوال السلف.

وهذا من الغلو المفرط في تقديم اللغة العربية دون النظر إلى أقوال السلف، فمن الخطأ جعل العمدة والمعول في التفسير هو مجرد أقوال اللغوين من أهل الاحتجاج اللغوي، والذين كان خاتمهم ابن هرمة سَاقَةَ الشعراء والمتوفى سنة: 150 للهجرة [1].

قال ابن القيم:" **لا يجوز أن يحمل كلام الله – عز وجل- ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام، ويكون الكلام به له معنى ما، فإن هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن، فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة، ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق، وهذا غلط عظيم** "[2].

ومن ذلك عند قوله -تبارك تعالى-: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ (سورة يوسف-آية: ٤٩)، فلم يرتض هذا القول أهل التفسير؛ لأنه شطّ عن منهج الأمة في التفسير، بالنظر في تفاسير الصحابة والتابعين، وذلك في لفظة:ﭽ ﮞ ﭼ.

قال ابن جرير:"**وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل، ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب، يوجه معنى قوله:ﭽ ﮝ ﮞ ﭼ إلى: وفيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث، ويزعم أنه من العصر، والعصر التي بمعنى**

---

(1) إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر القرشي، الشاعر البليغ المعروف بابن هَرْمَة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، مدح الوليد بن يزيد، وبقي إلى آخر أيام المنصور .

انظر: طبقات الشعراء، لابن المعتز (ص:20)، والأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني (361/4).

(2) بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية (537/3) .

المنجاة... وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه خلافُهُ قولَ أهل العلم من الصحابة والتابعين"[1].

-اختيار معنى لم تدل عليه الآثار ولا المعاجم اللغوية، بحجة إظهار الإعجاز العلمي للآية.

فتجد بعض أهل التخصصات التطبيقية التجريبية، من لديه همة في دعوة الناس إلى الإسلام بإقناعهم من خلال ربط النظريات الحادثة بأصول من القرآن أو دلالات عليها، ويتخذ منهج استنباط النظريات التجريبية من خلال آيات القرآن طريقًا لدخول الناس في الإسلام، وهذا مما يشكر عليه، ولكن الزلل في عدم مراعاة شرائط التفسير وآداب المفسر، وبما أنه ليس من أهل التخصص الشرعي، وهو قليل البضاعة في علم اللغة يقع في الخطأ المبين[2].

ومن ذلك ما قاله بعض المعاصرين من أن صريح القرآن دل على نزول الإنسان للقمر، ورد قول السلف في تفسير الآية، وسماه تأويلاً!.

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (233/12).

(2) كان الناس فيه بين طرفين ووسط، والحق -بإذن الله- أنه لابدّ من طرح ضوابط في إدخال التفسير العلمي التجريبي في تفسير القرآن حتى نجافيه عن الإفراط والتفريط، فمن تلك الضوابط:

1-استحضار أن القرآن كتاب هداية فلا طغيان على هذا المقصد.

2-التوسط في تفسير الآيات الكونية بين الإفراط والتفريط.

3-الرجوع إلى الدلالات اللغوية للكلمة ومعرفة استعمالاتها الحقيقية.

4-إقصاء كل نظرية علمية لم تصل إلى درجة الحقيقة.

5-معرفة أن الحقائق القرآنية لا تصادم أيَّ حقيقة علمية.

6-عدم أخذ هذه المباحث على أنها التفسير الذي لا يدل النص على سواه.

انظر : مباحث في إعجاز القرآن، للدكتور : مصطفى مسلم (ص:171-176)، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري (ص:604) .

واستدل بقوله تعالى: ﭽﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ(سورة الانشقاق-الآية: ١٦ - ١٩) [1].

وقال: إن الطبق في الآية هو الصاروخ الفضائي.

وهذا لا يمكن قبوله لعدة أوجه:

-أن فيه إقصاءً صريحًا لقول سلف الأمة في هذه الآية، والذين أُمرنا بالأخذ عنهم، ومن نزل القرآن بأفهامهم[2].

-أنه يلزم من تخطئة قول السلف في الآية القول بأنهم جهلوا معناها، بل وتجهيل من بعدهم، فغاب هذا المعنى عن الأمة حتى جاء الأمريكان بصعود القمر، وهذا أمر خطير جلل، ومن أعظم لوازمه: أن الله خاطب الأقوام بما لا يعرفون من المعاني.

-أنه فسر الآية بما يخالف المعاجم اللغوية؛ لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وليس في معاجم اللغة المتقدمة ما يدل على أن معنى الطبق الصاروخ الفضائي!.

-أن الجزم بإيقاع النظريات البشرية على آيات القرآن مجازفة بالقرآن، إذ إن هذه النظريات محل الصواب والخطأ، والخطأ جلة البشر، فمتى ما أثبت التقدم العلمي خطأها فقد أوقعنا الإسلام والقرآن بتصرفنا في حرج، وقضية صعود الإنسان للقمر ما زالت عند البعض محل التردد والشك، وعند البعض محل التكذيب بأدلة وبراهين وصور لديهم.

---

(1) **انظر**: https://www.youtube.com/watch?v=8_azWjWEoZA
https://www.youtube.com/watch?v=AtQP4s9VqTo

(2) وعلى قراءة من قرأ الآية بضم الباء من قوله: ﭽﯚ ﭼ فدوران معناه عند السلف على وجه الخطاب للناس كافة أنهم يركبون أحوال الشدّة حالاً بعد حال: فقر ثم غنى، مرض ثم صحة، صغر ثم كبر... .

أما من قرأها بفتح الباء كحمزة والكسائي: فمن قال معناها سماء فوق سماء: فإن الخطاب كائن للنبي-صلى الله عليه وسلم-، وأن في ذلك دلالة على عروجه للسماء في القصة المعروفة.

انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري (325/24)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، للحسين بن مسعود البغوي (376/8)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن غالب بن عطية(459/5).

ومن زلات التفسير في هذا الموضوع أيضًا:

ما ذكره بعض المعاصرين من كتب في التفسير ملخصًا ومعلقًا، وذلك عند قوله تعالى:**ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ** (سورة الأنعام–آية: ١٢٥).

فزعم–رحمه الله– أن معنى: **ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ** لم يُعرف إلا مع ظهور الاكتشافات العلمية، فقال: "والصواب في تفسيرها: أن من صعد إلى السماء يحس بأشد الضيق في صدره وقرب الاختناق لقلة الهواء، وهذا التشبيه من معجزات القرآن، فلم ينكشف معناه الصحيح إلا في هذه العصور المتأخرة" (1).

والقول فيه كما قيل في قول الأول، إلا أن الفرق يكمن في التالي:

-أن المكتشف التجريبي الذي ذكره الثاني صحيح في ذاته، ولا ريب في الجزم والقطع به، فقلة الأوكسجين كلما صعد الإنسان إلى درجات السماء ثبت بالتجارب المتكاثرة، بخلاف مسألة الصعود إلى القمر، فهي محل التردد والشك في وقوعها.

– أن آية سورة الانشقاق لا تحتمل البتة المعاني التي ساقها مصطفى، بخلاف المعنى الذي ذكره الأشقر، فإنه محتمل، وكون الآية تحتمل ما ذكره أو لا هو محل اجتهاد.

إذن: ما محل التثريب على الثاني؟

الجواب: أنه صرح بأن الصواب في معنى الآية ما ذكره، وخطأ بذلك قول جميع الأمة، ولا زم كلامه تجهيل كل من تكلم بهذه الآية من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهنا مكن الزلل، ولو أنه عدّ رأيه من قبيل الاحتمال الذي قد تحمل الآية عليه مع عدم رد قول السلف لكن هذا مقبول جدًا.

لأن حمل القرآن على أوسع معانيه الدالة عليه لا مانع منه إذا كانت معاني الآية تحتملها، والاجتهاد في ذلك مفتوح، وهو مقيد بأصول التفسير.

---

(1) زبدة التفسير (ص:144).

قال الشنقيطي:" ...فقوله – رضي الله عنه –: "**إلا فهما يعطيه الله رجلا في كتاب الله، يدل على أن فهم كتاب الله تتجدد به العلوم والمعارف التي لم تكن عند عامة الناس، ولا مانع من حمل الآية على ما حملها عليه المفسرون، وما ذكرنا أيضا أنه يفهم منها لما تقرر عند العلماء من أن الآية إن كانت تحتمل معاني كلها صحيحة، تعين حملها على الجميع**"[1].

(1) أضواء البيان (259/2) .

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

الحمد لله، وبعد تجوال حول القيم العربية للغة العربية، وما لها من الآثار البالغة على المكونات الدينية والعقلية والفكرية والاجتماعية، تمخض البحث ببعض النتائج والتوصيات، فمن ذلك:

أهم النتائج:

1-أن علاقة اللغة العربية بالقرآن علاقة التزام لا تنفك بحال، لأن القرآن عربي واللغة عربية.

2- خص الله العربية بإنزال كتابه الكريم دون سائر اللغات؛ لأن غيرها قاصرةٌ وعاجزة عن بيانٍ كبيان العربية.

3- أن من أقوى أسباب بقاء اللغة العربية كونها محفوظة بحفظ القرآن لها.

4- أن فكرة المعاجم العربية ابتداءً ما قامت إلا لبيان الغريب من القرآن، فكانت المعاجم اللغوية أول الأمر محضَ بيان ألفاظ القرآن ومفرداته، ثم توسعت إلى المعاجم بعد ذلك.

5- عظيم حرص السلف وإجلالهم لتعلم اللغة العربية، وباعثهم في ذلك: أن تعلمها من الدين الذي يحفظ الدين، وأن الخطأ في اللغة هو بداية انفتاح الدوارة على اللحن الذي يحرف المعاني الشرعية المستقاة من القرآن، ومع ذلك كان كثير منهم يتوقون التفسير، احتياطًا لدينهم ولأنفسهم.

6-أن من شرائط المفسر وآدابه ألا يقدم إلا من كان عالما بلغة العرب وسننها وأيامها وآدابها، فإن فهم ذلك هو فهم القرآن.

7- أن عدم فهم اللغة يأتي بنتائج سلبية، وثمار غير مرعية، فيُساء الاستدلال، وتنزل اللفظة على غير الحال، ويختل ميزان الإعراب، أو الاشتقاق، أو المعنى، وتحصل جنايات عديدة خارجة عن مراد النص القرآني.

أهم التوصيات:

تكثيف الجهود من قبل المؤسسات المعنية بالقرآن وعلومه، والمتخصصة في دراسته بنشر ضوابط المفسر وآدابه، والتي من أهمها الإبحار في بحار اللغة العربية، وحث المؤسسات التعليمة في مراحلها المتعددة–خصوصًا الدراسات العليا منها– والمتخصصة في القرآن وعلومه على الاهتمام باللغة العربية، والتأكد من عدم التخصص في أقسام القرآن وعلومه إلا من كان ضابطًا لأصول اللغة، متذوقًا لبيان البلاغة، معربًا ما يُفهم به المعنى.

وبهذا يطوى البحث، وينتهي الدرس، والحمد لله أولا وأخيرا، وبكرة وأصيلا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد تسليمًا كثيرًا.

قائمة بأهم المراجع والمصادر

١. **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري**، للدكتور فهد الرومي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثالثة، 1418هـ -1997م.

٢. **الإتقان في علوم القرآن**، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م.

٣. **أخبار النحويين البصريين**، للحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي – المدرسين بالأزهر الشريف، دار: مصطفى البابي الحلبي،1373 هـ - 1966 م.

٤. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت — لبنان، 1415 هـ - 1995 م.

٥. **إعجاز القرآن**، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت:403)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف- مصر، الطبعة: الخامسة – 1997م.

٦. **الأغاني**، لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر دار الفكر للطباعة والنشر- لبنان.

٧. **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، الطبعة: السابعة، 1419هـ.

٨. **البداية والنهاية**، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408، هـ - 1988 م.

٩. **بدائع الفوائد**، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة الطبعة: الأولى، 1416 - 1996.

١٠. **البرهان في علوم القرآن**، لمحمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م.

١١. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، لبنان– بيروت – الطبعة: الأولى 1407 هـ– 1987م.

١٢. **تأويل مشكل القرآن**، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان.

١٣. **ترجمات معاني القرآن الكريم**، د.عبدالله بن عباس الندوي، رابطة العالم الإسلامي، جمادى الآخرة 1417، العدد (174)، السنة الخامسة عشرة.

١٤. **التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي**، لمحمد الأوراغي، منشورات كلية الآداب بالرباط–المغرب، سلسلة بحوث ودراسات رقم36، مطبعة النجاح،1970م.

١٥. **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ– 1999م.

١٦. **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، لمحمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت:604)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى،1421– 2000م.

١٧. **تفسير عبد الرزاق**، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ.

١٨. **التفسير والمفسرون**، للدكتور: محمد حسين الذهبي، دار آند دانتس، الطبعة الأولى، 1425 - 2005.

١٩. **تقريب التهذيب**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، 1406 - 1986.

٢٠. **تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار**، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – القاهرة.

٢١. **تهذيب التهذيب**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، 1326هـ.

٢٢. **تهذيب اللغة**، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى– 2001م.

٢٣. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لمحمد بن جرير الطبري أبو جعفر، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة –الطبعة: الأولى، 1420هـ.

٢٤. **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب – القاهرة.

٢٥. **الخصائص**، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.

٢٦. **الدر المنثور**، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر – بيروت.

٢٧. **ديوان حافظ إبراهيم**، ضبطه وصححه: أحمد أمين وغيره، الهيئة المصرية العامة، الطبعة الثالثة، 1987م .

٢٨. **الرسالة**، لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، 1358هـ-1940م.
٢٩. **زبدة التفسير**، د. محمد بن سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، 1424للهجرة.
٣٠. **سير أعلام النبلاء**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الحديث- القاهرة، الطبعة: 1427هـ-2006م.
٣١. **شعب الإيمان**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد - الرياض.
٣٢. **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، لأحمد بن فارس بن زكرياء، لمحمد علي بيضون، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م.
٣٣. **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، لأحمد بن علي الفزاري القلقشندي، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة - دمشق – 1981م.
٣٤. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لإسماعيل بن حماد الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987م.
٣٥. **الضعفاء الكبير**، لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1404هـ - 1984م.
٣٦. **طبقات الشعراء**، لعبد الله بن المعتز، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف بمصر.
٣٧. **عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم**، المؤلف: أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٣٨. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان،** للحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى-1416هـ.

٣٩. **غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة،** لأبي إسحاق محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

٤٠. **غريب الحديث،** لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت:276)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، الطبعة: الأولى 1397 هـ.

٤١. **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية،** لعبد القاهر بن طاهر بن محمد الإسفراييني، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1977 م.

٤٢. **الكامل في ضعفاء الرجال،** لأبي أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، 1418-1997م.

٤٣. **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية،** لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية.

٤٤. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،** لمحمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٥. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن،** لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1422، هـ - 2002 م

٤٦. **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ.
٤٧. **اللغات السامية**، ثيودر نولدكه، ترجمة: د. رمضان عبدالتواب، دار النهضة العربية، القاهرة.
٤٨. **مباحث في إعجاز القرآن**، للدكتور: مصطفى مسلم، دار المسلم، الطبعة الثانية، 1426 - 1996.
٤٩. **مجلة المنار**، مجموعة من المؤلفين، كمحمد رشيد بن علي رضا، وغيره من كتاب المجلة، الطبعة: بدون.
٥٠. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لعبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ.
٥١. **المروءة**، لأبي بكر محمد بن خلف بن المرزبان، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.
٥٢. **المستدرك على الصحيحين**، لمحمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت:405)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1411 - 1990.
٥٣. **المعاجم اللغوية العربية، بدايتها وتطورها**، د. إميل يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت لبنبان، الطبعة الثانية، 1985م.
٥٤. **المعارف**، لابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، دار المعارف – القاهرة.
٥٥. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م.

٥٦. **معجم الأدباء، وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب،** لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م.

٥٧. **المفردات في غريب القرآن،** لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت:502)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – لبنان.

٥٨. **مناهل العرفان في علوم القرآن،** لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

٥٩. **الموافقات،** لإبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ-1997م.

٦٠. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال،** لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، الطبعة: الأولى-بيروت- 1382هـ.

٦١. **التحرير والتنوير،** المسمى: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر– تونس، 1984 هـ.

المحتويات

المقدمـة 2
أهمية الموضوع وأسباب اختياره 4
أهداف البحث 4
خطة البحث 5
منهج البحث 7
المبحث الأول 8
اللغة العربية والقرآن 8
توطئة: أثر اللغة العربية على أنماط النسيج الديني والمعرفي 8
المطلب الأول: العلاقة بين اللغة العربية والقرآن. 10
المسألة الأولى: التلازم بين اللغة العربية والقرآن. 10
المسألة الثانية: اختصاص اللغة العربية بلغة القرآن. 12
المطلب الثاني: وجود القرآن ورسوخ اللغة العربية. 14
المطلب الثالث: المعاجم اللغوية وعلاقتها بالقرآن. 15
المبحث الثاني: أهمية اللغة العربية في فهم القرآن وتفسيره 18
المطلب الأول: مثار اهتمام السلف باللغة العربية. 18
المطلب الثاني: أهمية اللغة العربية في فهم القرآن وتفسيره. 20
المسألة الأولى: تعلم اللغة العربية من الديانة. 22
المسألة الثانية: أثر اللغة العربية في التكوين العلمي لعقل الإنسان. 23
المسألة الثالثة: تهيب السلف من تفسير القرآن بغير معرفة بالعربية. 24

المسألة الرابعة: إدراك دقائق اللغة العربية يجلي روعة بيان القرآن. 25
المسألة الخامسة: جناية عدم معرفة اللغة على معاني القرآن. 27
الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات 34
قائمة بأهم المراجع والمصادر 36
المحتويات 43